

آية التطهير في من نزلت ؟

تأليف

حسن عبد الله علي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وعلى أصحاب محمد الميامين الذين لم يغيروا بعده ، وعلى من تبع نهج محمد وآله إلى قيام يوم الدين وبعد :

أخي القاريء الكريم ، الكتيب الذي بين يديك يتضمن ردّاً على منشور يحمل عنوان «من هم أهل البيت؟» مجهول الكاتب ، حاول فيه كاتبه أن يثبت بأدلة واهية واهنة أن آية التطهير وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) نزلت في نساء النبي ﷺ ، وأن علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ - أصحاب الكساء - لا علاقة لهم بها ، إضافة إلى مزاعم أخرى له حول دلالة الآية ، منها : أنه ادعى عدم دلالة الآية على عصمة المخاطبين بها ، وغيرها ، فحررت هذا

(١) الأحزاب : ٣٣ .



الرّد مثبتاً بالأدلة والبراهين الواضحة أنّ آية التطهير نزلت في أصحاب الكساء وأنها تدل على عصمتهم ، وهي دليل أيضاً بالدلالة الإلزامية على إمامة علي والحسن والحسين عليهم السلام ، فقلت مستعيناً بالله :

زعمه أن آية التطهير نزلت في نساء النبي !

قال الكاتب : (آية التطهير إنّما نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَأذْكُرَنَّ مَا يُثَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ ^(١) ، فالذي يراعي سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة ، بل من يدقق في الآيات سيجد بنفسه أن قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ * آية واحدة والخطاب فيها - كما هو واضح - موجه لنساء النبي .

(١) الأحزاب : ٣٢ - ٣٤ .

الأدلة على نزول الآية في أصحاب الكساء وبطلان نزولها في نساء النبي ﷺ

قلت : أولاً : القول بأن آية التطهير نزلت في نساء النبي ﷺ وأنها خاصة
بهن قول باطل للآتي :

١ - إنه احتهاد في مقابل النص ، والاجتهاد مع وجود النص محرم شرعاً
فقد وردت جملة من النصوص الصحيحة والصريحة الدالة على أن آية
التطهير نزلت في أصحاب الكساء خاصة ، وأن النبي ﷺ خصصها فيهم
وروي حديث التخصيص - والذي يعرف بحديث الكساء - عن بعض
زوجات النبي ﷺ وجماعة من الصحابة ، فممن رواه من زوجات النبي
ﷺ عائشة بنت أبي بكر ، ومن أخرج روايتها مسلم بن الحجاج القشيري
في صحيحه ، فقد روى بسنده عنها أنها قالت : (خرج النبي ﷺ غداة
وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء
الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال :
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) .

ورواه من زوجاته ﷺ السيدة أم سلمة رضي الله عنها ، ورواه عنها جماعة منهم :

١- شهر بن حوشب :

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٣ رواية رقم : ٢٤٢٤ .

ومن أخرج روايته عنها أبو عيسى الترمذي في سننه ، قال : (حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا سفيان ، عن زبيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة: أن النبي ﷺ جليل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ؛ أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا» فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله؟! قال : «إنك إلى خير» .

قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب ، وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة وأنس بن مالك ، وأبي الحميراء ، ومقل بن يسار ، وعائشة)^(١) .

وفي رواية أخرى أخرجها الطبراني عن شهر بن حوشب عنها : (أن الآية نزلت في بيتها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ورسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فأخذ عباءة فجعلهم بها ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» فقلت وأنا عند عتبة الباب : يا رسول الله وأنا

(١) سنن الترمذي ٥ / ٦٩٩ رواية رقم : ٣٨٧١ ، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣ / ٥٧٠ رواية رقم : ٣٧٨١ .

معهم؟! قال: «إنك بخير وإلى خير» (١).

٢- عطاء بن يسار:

ومن أخرج روايته عنها الحاكم النيسابوري فقال: (حدثنا أبو بكر أحمد ابن سليمان الفقيه وأبو العباس محمد بن يعقوب قالا: حدثنا الحسن بن مكرم البزار، حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء أهل بيتي». قال الحاكم النيسابوري: (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه) (٢).

قال الذهبي في تلخيص المستدرک: (على شرط البخاري).

٣- أبو ليلى:

ومن أخرج روايته عنها أحمد بن حنبل في مسنده، ففيه: (حدثنا عبد الله حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن نمير قال: حدثنا عبد الملك - يعني ابن أبي سليمان - عن عطاء بن رباح قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٣ / ٣٣٣ .

(٢) المستدرک على الصحيحين ٨ / ١٥٨ رواية رقم: ٤٧٠٥ .

ﷺ كان في بيتها ، فأنته فاطمة بمرمة فيها خزيرة ، فدخلت عليه فقال لها :
« ادعي لي زوجك » ، قالت : فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه
فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو على منامة على دكان تحته كساء له
خيبري ، قالت : وأنا أصلي في الحجرة ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، قالت :
فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال :
« اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،
اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت :
فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال : « إنك إلى خير ،
إنك إلى خير » .

قال : قال عبد الملك وحدثني أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء
سواء .

وقال عبد الملك وحدثني داود بن أبي الجحاف عن شهر بن حوشب عن
أم سلمة بمثله سواء .

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط عن هذا الحديث بإسناده الثاني - وهو الذي
رواه أبو ليلى عن أم سلمة - أنه : « صحيح »^(١) .

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢٩٢/٦ رواية رقم : ٢٦٥٥١ .

٤- أبو سعيد الخدري :

وممن أخرج روايته عنها الطحاوي في مشكل الآثار ، قال : (حدثنا فهد حدثنا أبو غسان ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، فقلت : يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟ فقال : « إنك على خير ، إنك من أزواج النبي » ، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين)^(١) .

وفي رواية أخرى رواها ابن جرير الطبري بسنده عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة أنها قالت : (لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجلل عليهم كساءً خيرياً فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ، قالت أم سلمة : أأنت منهم ؟! قال : « أنت إلى خير »)^(٢) .

٥- أبو هريرة الدوسي :

وممن أخرج روايته عنها محمد بن جرير الطبري في تفسيره قال : (حدثنا

(١) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٨/ ٤٧٤ رواية رقم : ٦١٥١ .

(٢) تفسير الطبري ١١/٢٢ .

أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدم ، قال : حدثنا سعيد بن زري ، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ برمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق ، فوضعت بين يديه فقال : «أين ابن عمك وإبنك؟» فقالت : في البيت ، فقال : «ادعهم» ، فجاءت إلى علي فقالت : أجب النبي ﷺ أنت وإبنك ، قالت أم سلمة : فلما رأهم مقبلين مديده إلى كساء كان على المقامة ، فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فضمّه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربّه فقال : «هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» (١) .

٦- حكيم بن سعد :

ومن أخرج روايته عنها الطبراني في معجمه الكبير قال : (حدثنا الحسين ابن إسحاق ، حدثنا عثمان ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن عبد الرحمن ، عن حكيم بن سعد ، عن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين) (٢) .

(١) تفسير الطبري ١٠ / ٢٢ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٢٧ / ٢٣ .

وفي رواية أخرى أخرجها الطبري في تفسيره بسنده عن حكيم بن سعد قال : (ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة ، قالت : فيه نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، قالت أم سلمة : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتي فقال : لا تأذني لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه ، وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جدّه وأمه ، وجاء علي فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط ، قالت : فقلت : يا رسول الله وأنا؟! قالت : فوالله ما أنعم ، وقال : « إنك إلى خير »^(١) .

٧- عمرة الهمدانية :

ومن أخرج روايتها عن أم سلمة الطحاوي في مشكل الآثار قال : (وما قد حدثناه فهد ، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن عمرة الهمدانية قالت : أتيت أم سلمة فسلمت عليها فقالت : من أنت ؟ فقلت : عمرة الهمدانية ، فقلت : يا أم

(١) تفسير الطبري ٢٢/١٣-١٤ .

المؤمنين ، أخبريني عن هذا الرجل الذي قتل بين أظهرنا فمحب ومبغض ،
تريد علي بن أبي طالب ، قالت أم سلمة : أتحيينه أم تبغضينه ؟ قالت : ما
أحبه ولا أبغضه ! ، فقالت : أنزل الله هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ ... ﴾
إلى آخرها ، وما في البيت إلا جبرئيل ورسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن
وحسين ، فقلت : يا رسول الله أنا من أهل البيت ؟ فقال : «إن لك عند الله
أجراً» فوددت أنه قال نعم ، فكان أحب إلي مما تطلع عليه الشمس
وتغرب^(١) .

٨- عبد الله بن وهب بن زمعة :

ومن أخرج روايته عنها محمد بن جرير الطبري في تفسيره قال : (حدثنا
أبو كريب ، قال : حدثنا خالد بن مخلد قال : حدثنا موسى بن يعقوب ،
قال : حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب
ابن زمعة قال : أخبرتني أم سلمة أن رسول الله ﷺ جمع علياً وفاطمة
والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر إلى الله ، ثم قال : «هؤلاء أهل
بيتي» ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله أدخلني معهم ، قال : «إنك من
أهلي»^(٢) .

(١) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٨/ ٤٧١ رواية رقم : ٦١٧٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٢٢ .

٩- والد عطية الطفاوي :

ومن أخرج روايته عنها أحمد بن حنبل في مسنده ففيه: (حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا عوف ، عن أبي المعدل عطية الطفاوي ، قال : حدثني أبي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : بينما رسول الله ﷺ في بيتي إذ قالت الخادم علياً وفاطمة بالسدة ، قال : «قومي عن أهل بيتي» ، قالت : فقمت فتنحيت في ناحية البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهم الحسن والحسين صبيان صغيران فأخذ الصبيين فقبلهما ووضعها في حجره واعتنق علياً وفاطمة ، ثم أغدق عليهما بردة له وقال : «اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي» قالت : فقلت يا رسول الله وأنا ؟ فقال : وأنت)^(١) .

ومن روى حديث الكساء من الصحابة عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ ، ومن أخرج روايته أبو عيسى الترمذي في سننه قال : (حدثنا قتيبة ، حدثنا محمد بن سليمان الأصفهاني ، عن يحيى بن عبيد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عمر بن أبي سلمة - ربيب النبي ﷺ - ، قال : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦/ ٣٠٤ رواية رقم : ٢٦٦٤٢ ، وقوله : وأنت راجع إلى قوله :

«إليك لا إلى النار» .

تَطْهِيراً ﴿ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ؛ فأذهب عنكم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله !؟ قال : « أنت على مكانك ، وأنت إلى خير » (١) .

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : (صحيح) (٢) .

وفي رواية أخرى عنه أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار بسنده عن عمر بن أبي سلمة قال : (نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾) قالت : فدعا النبي ﷺ الحسن والحسين وفاطمة فأجلسهم بين يديه ، ودعا علياً فأجلسه خلف ظهره ثم جللهم جميعاً بالكساء ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة : اللهم اجعلني منهم قال : « أنت على مكانك ، وأنت على خير » (٣) .
ومن رواه من الصحابة أيضاً ، سعد بن أبي وقاص ، أخرج روايته

(١) سنن الترمذي ٣٥١ / ٥ رواية رقم : ٣٢٠٥ و ٦٣٣ / ٥ رواية رقم : ٣٦٨٧ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٣٠٦ / ٣ رواية رقم : ٣٢٠٥ ، و ٥٤٣ / ٣ رواية رقم :

. ٣٧٨٧

(٣) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٤٧٥ / ٨ رواية رقم : ٦١٥٤ .

العديد من محدثي أهل السنة منهم : الحافظ النسائي في كتابه خصائص الإمام علي عليه السلام ، فقال : (أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي وهشام بن عمّار الدمشقي ، قالوا : حدثنا حاتم ، عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أمر معاوية سعداً ! فقال : ما منعك أن تسبّ أبا تراب ؟! فقال : أنا ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلن أسبّه ، لأن يكون لي واحدة منها أحب إلي من حمر النعم ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له وخلفه في بعض مغازيه ، فقال له علي : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟» .

وسمعه يقول يوم خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله» ، فتناولنا إليها ، فقال : «ادعوا لي علياً» ، فأتي به أرمم ، فبصق في عينه ودفع الراية إليه .. ولما نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي» . قال محقق كتاب الخصائص الشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري : (إسناده صحيح) ^(١) .

(١) خصائص الإمام علي للنسائي بتحقيق الشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري صفحة ٣٢-٣٣ رواية رقم : ٩ .

وفي رواية أخرى أخرجها الحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين بسنده عن بكير بن مسمار قال : (سمعت عامر بن سعد يقول : قال معاوية لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي طالب؟! قال : فقال : لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم ، قال له معاوية : ما هن يا أبا إسحاق ؟ قال : لا أسبّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال : «ربّ إن هؤلاء أهل بيتي» .

ولا أسبّه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي : خلفتني مع الصبيان والنساء ؟ قال : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوة بعدي» .

ولا أسبّه ما ذكرت يوم خيبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويفتح الله على يديه» ، فتناولنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أين علي؟» قالوا : هو أرمم ، فقال : «ادعوه» فدعوه فبصق في وجهه ثم أعطاه الراية ففتح الله عليه ، قال : فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة) ، قال الحاكم النيسابوري : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^(١) .

(١) المستدرک علی الصحیحین ١١٧/٣ رواية رقم : ٤٥٧٥ .

قال الذهبي في تلخيص المستدرک : (على شرط مسلم فقط) .
وروى حديث الكساء من الصحابة واثلة بن الأسقع ، أخرجت روايته
في العديد من المصادر السننية ، منها ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ،
ففيه : (حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا محمد بن مصعب ، قال : حدثنا
الأوزاعي ، عن شداد أبي عمار قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده
قوم فذكروا علياً فلما قاموا قال : لي ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟
قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة - رضي الله تعالى عنها - أسألها عن علي
قالت : توجه إلى رسول الله ﷺ ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ
ومعه علي وحسن وحسين - رضي الله تعالى عنهم - أخذ كل واحد منهما
بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً
وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءً ثم تلا
هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً ﴾ وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق »
قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : (حديث صحيح)^(١) .

ورواه أيضاً أبو سعيد الخدري ، ومن أخرج روايته لحديث الكساء ابن

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤/١٠٧ رواية رقم : ١٧٠٢٩ .

عساكر في تاريخ دمشق قال : (أنبأنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن سعيد الحداد «حيلولة» أخبرني أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الله السنجي عنه ، أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن الحسين بن جرير الدمشقي ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني بالكوفة ، حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمران ابن أبي مسلم قال : سألت عطية عن هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، قال : أخبرك عنها بعلم ، أخبرني أبو سعيد أنها نزلت في بيت النبي ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين فأدار عليهم الكساء ، قال : وكانت أم سلمة على باب البيت قالت : وأنا يا نبي الله !؟ قال : «فإنك بخير وإلى خير»^(١) .

وفي رواية أخرجه الطبري في تفسيره قال : (حدثني محمد بن المنثى ، قال : حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي قال : حدثنا مندل ، عن الأعمش عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «نزلت هذه الآية في خمسة ؛ فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٢) .

ورواه من الصحابة عبد الله بن عباس ، وممن أخرج روايته الحاكم

(١) تاريخ دمشق ١٤٧/١٤ .

(٢) تفسير الطبري ٩/٢٢ .

النيسابوري في مستدرکه قال : (أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ببغداد من أصل كتابه ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا أبو بلج ، حدثنا عمرو ابن ميمون قال : إني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء ، قال : فقال ابن عباس بل أنا أقوم معكم ، قال : وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ، قال : فابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا ؟ قال : فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره ، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : « لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فاستشرف لها من استشرف ، فقال : « أين علي ؟ » فقالوا إنه في الرحى يطحن ، قال : وما كان أحدهم ليطحن قال فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر ، قال : فنفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاه إياه فجاء علي بصفية بنت حبيبي ، قال ابن عباس ثم بعث رسول الله ﷺ فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه ، وقال : « لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه » ، فقال ابن عباس وقال النبي ﷺ لبني عمه : « أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ » قال : وعلي جالس معهم ، فقال رسول الله ﷺ - وأقبل على رجل منهم - فقال : « أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ » فأبوا ، فقال

لعلي : «أنت وليي في الدنيا والآخرة» ، قال ابن عباس : وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها ، قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ...)

قال الحاكم النيسابوري: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^(١) .

وقال الذهبي في التلخيص : (صحيح) .

ورواه أيضاً من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وأخرج روايته الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين قال : (حدثني أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعرائي ، حدثنا جدي ، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبه الخزامي ، حدثنا محمد بن إسماعيل ابن أبي فديك ، حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي ، عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال : لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة هابطة قال : « ادعوا لي » فقالت صفية : من يا رسول الله ؟ قال : « أهل بيتي ؛ علياً وفاطمة والحسن والحسين » فجاءهم ، فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم كساءه ثم رفع يديه ثم قال : « اللهم هؤلاء آلِي ، فصل على محمد وعلى آل محمد » ، وأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

(١) المستدرک على الصحيحين ٣/١٤٣ رواية رقم : ٤٦٥٢ .

قال الحاكم النيسابوري: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ^(١) .
وظاهر هذه الروايات جميعها أنّ آية التطهير خصصها النبي ﷺ في
أصحاب الكساء خاصة وطبقها عليهم دون غيرهم من أزواجه وأقربائه ،
فلا علاقة للزوجات ولا لغيرهم من أقربائه بهذه الآية ^(٢) ، بل في بعضها
- كرواية أبي سعيد الخدري - تصريح صريح بأنها نزلت في الخمسة «رسول
الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام» .

ولم تكن حادثة تجليل النبي ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام
التي حصلت في بيت أم سلمة بعد نزول الآية هي الوحيدة ، بل تكرر هذا
الفعل منه ﷺ في أكثر من مكان ، فرواية عائشة التي ذكرناها سابقاً تدل
على أن ذلك أيضاً حصل في بيتها ، ورواية واثلة بن الأسقع تدل على أن
ذلك وقع في بيت علي وفاطمة عليهما السلام ، وفي بيت صفية كما تدل عليه رواية
الحاكم النيسابوري التي رواها من طريق عبد الله بن جعفر ، وهذا التصرف
من النبي ﷺ يدل على أنه بصدد تخصيص الآية الكريمة ومفهوم أهل

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٥٩ رواية رقم : ٤٧٠٩ .

(٢) إن مفهوم أهل البيت في آية التطهير يشمل الأئمة التسعة من ولد الحسين عليهما السلام لقيام
الأدلة عندنا على ذلك ولما ثبت بالدليل أنهم معصومون منزهون من كل الأرجاس
والأدناس .

البيت فيها فيهم ﷺ لأنهم المصداق الوحيد - وقتها - لهذا المفهوم .

٢- سلك النبي ﷺ مسلكاً آخر لتخصيص آية التطهير بأصحاب الكساء ﷺ ، فقد أثبتت الروايات أنه وبعد نزول الآية كان يأتي كل صباح وقت صلاة الفجر على مدى ستة أشهر أو تسعة أشهر - حسب اختلاف الروايات - إلى باب دار علي وفاطمة ﷺ ويقرأ الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، فقد أخرج عبد بن حميد في مسنده وغيره عن أبي الحميراء مولى رسول الله ﷺ أنه قال : (صحبت رسول الله ﷺ تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى باب علي وفاطمة وهو يقول : «يرحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾»^(١) .

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين قال : (حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرني حميد وعلي بن زيد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يمر باب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول : «الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾» .

(١) مسند عبد بن حميد صفحة ٣٧١ ، الكنى للبخاري ٢٥ / ١ ، تاريخ دمشق ٤٢ / ١٣٧ .

قال الحاكم : (هذا حديث على صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^(١) .

٣- تدل بعض الروايات السالفة أن السيدة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لما أن سألت النبي صلى الله عليه وسلم بقولها : (وأنا معهم يا رسول الله ؟) أو (وأنا معكم يا رسول الله ؟) أجابها بقوله : « إنك إلى خير » ، وفي بعضها أنها سألته بقولها : (يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟) فأجابها بقوله : « إنك على خير ، إنك من أزواج النبي » ولم يجيبها بنعم ، وفي بعضها أنها طلبت منه الدخول معهم تحت الكساء فقالت : (يا رسول الله ادخلي معهم) فلم يأذن لها وإنما قال لها « إنك من أهلي » ، وكل ذلك يدل على أنها ليست من أهل البيت المخاطبين في آية التطهير .

٣- لم يؤثر عن واحدة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أنها ادّعت أن الآية نزلت فيهن أو أنهن ممن تشملهن هذه الآية ، بل المأثور عن أم سلمة وعائشة أنهما ممن وري اختصاص الآية بأصحاب الكساء ، يقول بن الجوزي : (... والثاني :^(٢) أنه خاص في رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٧٢ رواية رقم : ٤٧٤٨ ، وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٥٢ رواية رقم : ٣٢٠٦ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ٢٨٥ رواية رقم : ١٤٠٧٢ ، وعبد بن حميد في مسنده صفحة ٣٦٧ رواية رقم : ١٢٢٣ .

(٢) أي القول الثاني في المراد بأهل البيت في آية التطهير .

قاله أبو سعيد الخدري، وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك^(١).
٤- لم يؤثر في سند صحيح أن واحداً من الصحابة ذكر أن الآية خاصة
بزوجات النبي ﷺ بل روي عن بعضهم اختصاصها بأصحاب الكساء
عليهم السلام .

بطلان استدلاله بالسياق

ثانياً: إن الدليل الوحيد الذي اعتمد عليه الكاتب لإثبات اختصاص
الآية بزوجات النبي ﷺ هو دليل السياق ، لوجود آية التطهير- في
المصحف الشريف - بين آيات يخاطب الله سبحانه وتعالى فيها زوجات نبيه
الأكرم محمد ﷺ ، فالخطاب فيما قبلها من آيات موجه إلى نساء النبي ﷺ
وكذلك ما بعدها ، ولكن الاستدلال بالسياق في مثل هذا المورد باطل
للآتي:

١- لقد أثبتنا فيما سبق من خلال الروايات الصحيحة أن النبي ﷺ
خصص آية التطهير في أصحاب الكساء ، ومع وجود الدليل الصحيح على
هذا التخصيص لا يصح الاعتماد على دليل السياق ، فلو كانت الآية نزلت
في الزوجات لما خصصها النبي ﷺ في غيرهن .

(١) زاد المسير ٦/ ٣٨١ .

٢- إن آية التطهير نزلت لوحدها مستقلة وليست بمعية الآيات التي خاطب الله عز وجل فيها زوجات نبيه ﷺ كما هو واضح من بعض روايات حديث الكساء والتي ذكرنا بعضاً منها .

ففي بعضها تقول أم سلمة : (...فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ...)^(١) ، وفي بعضها تقول : (... نزلت هذه الآية في بيتي ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ...)^(٢) ، وفي رواية عنها أنها قالت : (... نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ...)^(٣) .

وفي رواية عمر بن أبي سلمة يقول : (... نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ...)^(٤) ، وفي رواية أخرى عنه يقول : (... نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

(١) مسند أحمد ٦/٢٩٢ رواية رقم : ٢٦٥٥١ .

(٢) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٨/٤٧٤ رواية رقم : ٦١٥١ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢٣/٣٢٧ .

(٤) سنن الترمذي ٥/٣٥١ رواية رقم : ٣٢٠٥ و ٥/٦٣٣ رواية رقم : ٣٦٨٧ .

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿...﴾ (١) .

وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص قال فيها : (... لما نزلت هذه الآية...) (٢) .

وفي رواية أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : (نزلت هذه الآية في خمسة ، في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾) (٣) .

وكله يفيد أن آية التطهير نزلت لوحدها مستقلة بل في ذلك دلالة على أنها آية كاملة لوحدها ، وذلك يبطل دليل السياق أيضاً .

٣- إن المسلمين متفقون على أن القرآن الكريم لم يجمع حسب النزول ، فكم من آية مدنية وقعت بين آيات مكية والعكس ، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على أن الآية في أولها خاصة بموضوع وفي آخرها بموضوع آخر ، ووجود آية التطهير بين تلك الآيات التي يخاطب الله سبحانه وتعالى فيها زوجات نبيه ﷺ من قبيل الاستطراد والجملة المعترضة ، وفي القرآن الكريم شواهد على تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى في

(١) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٨ / ٤٧٥ ، رواية رقم : ٦١٥٤ .

(٢) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٨ / ٤٧٠ ، رواية رقم : ٦١٤٥ .

(٣) تفسير الطبري ٩ / ٢٢ .

حكاية عزيز مصر لزوجته إذ قال لها: ﴿...إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ
 *يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾^(١)
 فقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ مستطرد بين خطاب عزيز مصر الموجه
 لزوجته وعلى هذا لا يمكن أيضاً الاعتماد على دليل السياق.

٥- لو كانت آية التطهير خاصة بزوجات النبي ﷺ وأنها نزلت فيهن
 والخطاب فيها موجه إليهن، لكان الأصح تأنيث الضمير في قوله تعالى:
 ﴿عَنْكُمُ﴾ وقوله: ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ﴾ فيقول: (عنكن) و (يطهركن)، لأن
 الضمائر الواردة قبل آية التطهير وبعدها هي ضمائر الإناث، قال تعالى:
 ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ و ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ﴾ و ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وهذا دليل على بطلان دليل
 السياق أيضاً.

محاولته الهروب من إشكال تذكير الضمائر في الآية

قال الكاتب: (ولعل هذا يدعونا إلى التساؤل: إذا كان الأمر كذلك فلم لم
 يعبر عنهن بنون النسوة بدلاً من (ميم) الجماعة؟ غير أن ما يمكن أن يقوله
 المرء هنا أن رسول الله ﷺ هو رأس أهل بيته وهو داخل بلاشك في الآية

(١) يوسف: ٢٨-٢٩.

مع نسائه كما قال تعالى في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ ^(١) ، مع أنّ الخطاب لإمرأة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكنه لما دخل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجته في مسمى أهل البيت عبر عنهم جميعاً بـ (ميم) الجماعة في قوله : ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ تغليباً ، بل إنّ إطلاق تسمية «أهل» على الزوجة وارد في قوله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ ^(٢) ، مع أنه لم يكن مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سوى زوجته ، فما العجب في أن تعني الآية نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتستخدم في حقهن (ميم) الجماعة؟!) .

قلت : أولاً : لقد واجه القائلون بتخصيص آية التطهير بزوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إشكالاً قوياً جداً ينسف مدّعاهم هذا رأساً على عقب ، وهو تذكير الضمائر في آية التطهير ، فالمفروض أن يكون الخطاب فيها بما يصلح للإناث تماماً كما في الآيات التي سبقتها والتي تلتها ، فلجؤا إلى الهروب من هذا الإشكال إلى دعوى أن الخطاب في الآية يشمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجاته ، فكان الخطاب بضمير المذكر بسبب تغليب المذكر على المؤنث ، ولكننا نقول : ليس الإشكال بتذكير الضمائر في الآية هو الرّد الوحيد لدفع اختصاصها

(١) هود : ٧٣ .

(٢) القصص : ٢٩ .

بزوجات النبي ﷺ وبدفعه يثبت هذا الإختصاص ، وإنما ذكرنا مجموعة من الأدلة لإثبات اختصاصها بأصحاب الكساء ، وأثبتنا من عدة وجوده بطلان عمدة ما استلوا به لإثبات اختصاصها بالزوجات وهو دليل السياق فراجع كل ذلك فيما سبق .

ثانياً : زعمه أن تذكير الضمائر في الآية إنما كان بسبب دخول النبي ﷺ في الخطاب مع الزوجات يرد عليه إشكال وهو : إن قوله تعالي قبل آية التطهير وما بعدها يتضمن توجيهات لنساء النبي ﷺ ، ولا علاقة لهذه التوجيهات به ﷺ ، فإذا كانت العلة من تلك التوجيهات - كما يزعم من يدّعي اختصاص الآية بزوجات النبي ﷺ - أن لا يتلبسن بالرجس لإلتزامهن بها ، والنبي ﷺ غير مشمول بالخطاب في تلك الآيات فكيف دخل في الخطاب في خصوص آية التطهير فقط !؟

ثالثاً : إن الألف واللام في لفظة «البيت» في قوله تعالي : ﴿رَحِمْتُ اللهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ عهدية ، إشارة إلى المجتمعين في أحد بيوت النبي إبراهيم ﷺ ، إذ كان إبراهيم ﷺ مختلياً بزوجه سارة في الحجرة فهبطت الملائكة المرسلّة إلى لوط النبي ﷺ في مهمة «ما» وجعلت طريقها دار إبراهيم ﷺ الذي كان مجتمعاً مع زوجته لتبشيرهما بحمل سارة بمولود عزيز وهو إسحاق وبحفيد عزيز يأتيهم من إسحاق ، فتذهل سارة

من هذه البشارة وكيفية تحققها في زوجين بلغا سن اليأس فتجيب الملائكة سؤال سارة وعجبتها بالقول الذي حكاه الله عنهم : ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ أي المجتمعين في هذا البيت المعين .

رابعاً : لا أحد ينكر أن لفظة «أهل» قد تستخدم - مع القرينة طبعاً - ويراد منها الزوجة كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ حيث أن المراد بأهله هنا زوجته بقرينة أنه لم يكن معه غيرها ، وكقول النبي ﷺ كما في بعض روايات حديث الكساء لزوجته أم سلمة : «إنك من أهلي» ، فهذا موجود في لغة العرب ، ولكن الكلام عن مفهوم «أهل البيت» في آية التطهير لا عن لفظة «أهل» هل يراد به زوجات النبي ﷺ أو غيرهن ، الدليل يثبت أنه خاص بغيرهن وبالتحديد بأصحاب الكساء ﷺ .

من استدلاله الواهي على عدم علاقة أصحاب الكساء بالآية

قال الكاتب : (مما يؤكد أن الآية لم تنزل في أصحاب الكساء رضوان الله تعالى عليهم بل في نساء النبي خاصة حديث الكساء نفسه ، ذلك أن رسول الله ﷺ في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم

الرجس بقوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس» فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ؟! وإنما أراد رسول الله من دعائه هذا أن يضم الله عزّ وجل أصحاب الكساء - وهم من أهل بيته بلا ريب - إلى نسائه اللاتي نزلت فيهن الآية في المعنى الذي تضمنته الآية وهو إرادة التطهير ورفع الرجس .

إن أهل السنة يقولون بأن الله عزّ وجل أذهب الرجس عن أصحاب الكساء لحديث الكساء لا لورود آية التطهير التي إن جاز الاستدلال بها على أحد فعلى أمهات المؤمنين اللاتي هنّ نساء النبي صلوات الله عليه وأهل بيته).

التأكيد على اختصاص الآية بأصحاب الكساء

قلت : إن الأمر عكس ما ذكره هذا الكاتب فحديث الكساء يثبت خلاف ما يدّعيه ، فهو يدل على اختصاص أصحاب الكساء بالآية ونفي اختصاصها بالزوجات أو شمولها هن وقد أوضحنا ذلك فيما سبق ، وقد صرح الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما بأن آية التطهير نزلت فيهم رضي الله عنهم ، ففي مجمع الزوائد للهيتمي قال : (إن الحسن بن علي حين قتل علي استخلف ، فبينما هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرّض

منها أشهر ثم قام فخطب على المنبر فقال: (يا أهل العراق اتقوا الله فينا ،
فإننا أمراءكم وضيغانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ﴿ فما زال
يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً) .

قال الهيثمي : (رواه الطبراني ورجاله ثقات) ^(١) .

وفي العديد من نصوص حديث الكساء أن النبي ﷺ وبعد أن جليل علياً
وفاطمة والحسن والحسين ﷺ بالكساء ودعا لهم قرأ الآية عليهم أيضاً
مخاطباً لهم بها ، وفي بعضها أنه خاطبهم أولاً بالآية ثم دعا لهم ، وفي بعضها
أنه خاطبهم بالآية فقط دون أن يدعو لهم ، وفي كل ذلك دليل على أن
تطهيرهم ثابت بموجب الآية الكريمة لا لنفس حديث الكساء ، ومن هذه
النصوص ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين عن وائلة
قال : (أتيت علياً فلم أجده ، فقالت لي فاطمة انطلق إلى رسول الله ﷺ
يدعوه ، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلا ودخلت معهما فدعا رسول الله
ﷺ الحسن والحسين فأقعد كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من
حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوباً وقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ١٧٢/٩ .

الرَّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ ثم قال : «هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أهل بيتي أحق» . قال الحاكم النيسابوري : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) (١) .

وقال الذهبي في تلخيص المستدرک : (على شرط مسلم) .

ومنها ما رواه مسلم بن الحجاج بسنده عن عائشة أنها قالت : (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط من رجل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٢) .

ومنها ما أخرجه النسائي في كتابه الخصائص بسند صحيح - في حديث طويل - عن ابن عباس قال : (... وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ...) (٣) .

(١) المستدرک على الصحيحين ٣/١٥٩ رواية رقم : ٤٧٠٦ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٨٣ رواية رقم : ٢٤٢٤ .

(٣) خصائص الإمام علي صفحة ٤٤-٤٦ رواية رقم : ٢٣ ، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ٣/١٤٣ رواية رقم : ٤٦٥٢ وقال : (هذا)

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه فقال : (حدثنا محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي ، عن شداد أبي عمار قال : دخلت علي وائلة وعنده قوم فذكروا علياً فشتموه فشتمته معهم ، فقال : ألا أخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة أسألهما عن علي فقالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست فجاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين كل واحد منهما أخذ بيده ، فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق » (١) .

وقد ذكرنا فيما سبق أن النبي ﷺ - بعد نزول آية التطهير - كان إذا أصبح يأتي إلى بيت علي وفاطمة على مدى ستة أو تسعة أشهر ويخاطبهم بالآية فيقول : « الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

① حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وقال الذهبي في تلخيص المستدرک : (صحيح)
ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ١ / ٣٣٠ رواية رقم : ٣٠٦٢ وفي فضائل الصحابة
٢ / ٦٨٢ رواية رقم : ١١٦٨ .

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦ / ٣٧٠ رواية رقم : ٣٢١٠٣ ، ورواه ابن حنبل في فضائل
الصحابة ٢ / ٥٧٧ رواية رقم : ٩٧٨ .

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(١) ، وفي هذا دليل على أن الآية نزلت فيهم وأنهم المعنيون بها وأن تطهيرهم ثابت بنص الآية الكريمة وليس حسب ما زعمه الكاتب .

الهدف من جمعهم تحت الكساء والدعاء لهم

إن جمع النبي ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت الكساء ودعاءهم بقوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» هدفه تحديد وبيان المقصودين بأهل البيت في الآية الكريمة ، فهو يخاطب ربّه ويحدد في خطابه أن هؤلاء هم أهل بيتي حتى يعرف الآخرون من هم أهل البيت الذين أراد الله تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم ، فهذا هو غرضه صلوات الله وسلامه عليه من هذا الجمع والدعاء وليس ما ذكره الكاتب ، وإلا فنتيجته - أي الدعاء - من حيث التحقق تحصيل حاصل ، وهناك وجه آخر لمثل هذه الأدعية «المضمونة النتيجة» وهو الإقرار بالفقر والحاجة لاستمرار الفيض الإلهي ومواصلته ودوام العطاء الإلهي ، فمثلاً الداعي يعلم أن الله خلق عليه الوجود وأفاض عليه الجوارح ووهبه النعم تكويناً ولكنه يسأل الله ويدعوه استمرارها ومواصلة الإنعام بها وعدم

(١) راجع النصوص الدالة على ذلك صفحة ٣١ وما بعدها .

زوالها ، بل وينزل الدعاء في مثل هذه المواضع منزلة الشكر والحمد على
النعمة .

من تصريحات وأقوال علماء أهل السنة في اختصاص الآية بأصحاب الكساء !

وليس الشيعة وحدهم هم الذين يذهبون إلى اختصاص آية التطهير
بأصحاب الكساء عليهم السلام وإنما جمهور علماء أهل السنة من قال بذلك أيضاً ،
يقول ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة : (إن أكثر المفسرين على أنها
نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ...)^(١) .

وقال أبو بكر الحضرمي : (والذي قال به الجماهير من العلماء وقطع به
أكابر الأئمة وقامت به البراهين وتضافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في
الآية هم سيدنا علي وفاطمة وإبناهما ، وما تخصيهم بذلك إلا عن وحي
سأوي) .

وقال : (والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وبها أوردناه منها يعلم قطعاً
أن المراد بأهل البيت هم علي وفاطمة وإبناهما رضوان الله عليهم ، ولا
التفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان من أن تخصيص الخمسة المذكورين
بكونهم من أهل البيت من أقوال الشيعة ، لأن ذلك محض تهوّر يقتضي

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٤٢١ .

بالعجب ، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنة السنية يسفر
الصبح لذي عينين) ^(١) .

وقال السهودي : (وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد من الآيتين آية
المباهلة والتطهير) ^(٢) .

وقال الطحاوي في مشكل الآثار تحت عنوان «باب بيان مشكل ما روي
عنه ﷺ في المراد بقول الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً ﴾ من هم» قال :

(حدثنا الربيع المرادي ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا حاتم بن سليمان
حدثنا بكر بن مسمار ، عن عامر بن سعد عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية
دعار رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : «اللهم هؤلاء
أهلي») ثم قال الطحاوي : (ففي هذا الحديث أن المرادين بما في هذه الآية
هم رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين) ثم قال : (حدثنا فهد ،
حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، عن
جعفر بن عبد الرحمن البجلي ، عن حكيم بن سعد ، عن أم سلمة قالت :

(١) رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي صفحة ١٣ ، ١٤ ، ١٦ طبعة مصر و
٢٣ ، ٤٠ طبعة بيروت - الباب الأول ذكر تفضيلهم بما أنزل الله في حقهم من الآيات .

(٢) جواهر العقدين صفحة ٢٠٤ ، الباب الأول .

نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

ثم قال الطحاوي : (ففي هذا الحديث مثل الذي في الأول) .

وقال بعد أن ذكر مجموعة من الروايات لحديث الكساء من طريق أم المؤمنين أم سلمة رضوان الله تعالى عليها : (فدل ما رويناه في هذه الآثار مما كان من رسول الله ﷺ إلى أم سلمة مما ذكر فيها لم يرد به أنها كانت ممن أريد به ما في الآية المتلوّة في هذا الباب ، وأن المرادين فيها رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين دون من سواهم)^(١) .

وقال العلامة يوسف بن موسى الحنفي «أبو المحاسن» : (روي أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : «اللهم هؤلاء أهلي»^(٢) ، قالت أم سلمة : يا رسول الله فتدخلني معهم ؟ قال : «أنت من أهلي» يعني من أزواجه كما في حديث الإفك «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟» لا أنها من أهل الآية المتلوّة في هذا الباب .

يؤيده ما روي عن أم سلمة أنّ هذه الآية نزلت في بيتي فقلت : يا رسول

(١) تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار ٤٧٦/٨ .

(٢) الثابت الصحيح أنّ النبي ﷺ قال : هؤلاء أهل بيتي .

الله أليست من أهل البيت ؟ قال : أنت على خير ، إنك من أزواج النبي ، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين ...) إلى أن قال : (وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ استئناف تشريفاً لأهل البيت وترفيحاً لمقدارهم ، ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر ، فقال عَنْكُمْ ولم يقل عنكن فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية ، يدل عليه ما روي أن رسول الله ﷺ كان إذا أصبح الصبح أتى باب فاطمة فقال : السلام عليكم أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) .

وقال ابن عساكر الدمشقي بعد أن ذكر رواية عن أم سلمة قالت فيها : (وأهل البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين) قال : (هذا حديث صحيح) ثم قال : (وقولها وأهل البيت هؤلاء الذين ذكرتهم إشارة إلى الذين وجدوا في البيت في تلك الحالة ، وإلا فالرسول الله ﷺ كلهم من أهل البيت ، والآية نزلت خاصة في هؤلاء المذكورين والله أعلم) (٢) .

وقال العلامة الشوكاني - وهو يرد على من قال بأن آية التطهير في نساء النبي - : (ويجب على هذا الجواب بأنه قد ورد الدليل الصحيح أنها نزلت

(١) معتصر المختصر ٢/٢٦٦-٢٦٧ .

(٢) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين صفحة ١٠٦ .

في علي وفاطمة والحسين) (١) .

وقال العلامة سيدي محمد حبسوس : (... ثم جاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معهم ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أنهم هم المراد بأهل البيت في الآية (٢) .

وقال العلامة محمد أحمد بنيس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أكثر المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسين رضي الله عنهم (٣) .

وقال توفيق أبو علم - وهو يرد على عبد العزيز البخاري - : (أما قوله أن آية التطهير المقصود منها الأزواج فقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أن المقصود من أهل البيت هم العترة الطاهرة لا الأزواج) (٤) .

وقال العلامة حسن بن علي السقاف : (وأهل البيت هم سيدنا علي

(١) إرشاد الفحول صفحة ١٥٢ .

(٢) شرح الشرائع ١/١٠٧ .

(٣) لواعب الكوكب الدرّي ٢/٨٦ .

(٤) أهل البيت صفحة ٣٥ .

والسيدة فاطمة وسيدنا الحسين وذريتهم من بعدهم ومن تناسل منهم
للحديث الصحيح الذي نص النبي ﷺ فيه على ذلك ، ففي الحديث
الصحيح : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي ﷺ
فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم
قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم
سلمة : وأنا معهم يا نبي الله؟! قال : أنت على مكانك وأنت إلى خير^(١) .

وقال في هامش صفحة ٦٥٧ من كتابه صحيح شرح العقيدة الطحاوية
وهو يرد على الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حول قوله : «وتخصيص
الشيعة لأهل البيت في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ دون
نسائه من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصاراً لأهوائهم كما هو مشروح في
موضعه» فقال السقاف رداً عليه :

(وهذا من تلبيساته وتمحله في رد السنة الثابتة في تفسيره لأهل البيت ،
وهو بهذا أراد أن يلبس على القارئ بأن من قال أن أهل البيت هم أهل
الكساء أنهم الشيعة ! والحق أن من قال ذلك جميع أهل السنة والجماعة وفيهم

(١) صحيح شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٦٥٥ .

الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، ولكن هذا هو النصب الذي يفضي بصاحبه إلى ما ترى كما شرحنا في موضعه) .

قلت : رد العلامة السقاف لكلام الألباني قوي ومتين وصحيح ، فالحديث النبوي الصحيح يحصر المقصودين بأهل البيت في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام ، وقد ورد عندنا بالدليل المعتبر أن النبي ﷺ أضاف بعد الحسن والحسين تسعة من ذرية الحسين عليه السلام آخرهم المهدي ، إلا أن قول السقاف : (وذريتهم من بعدهم ومن تناسل منهم) لم تدل عليه رواية واحدة ، بل الدليل العقلي والنقلي على ضده ، إذ كيف يكون كل من تناسل من ذرية الإمام علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام مطهراً من المعاصي والأخطاء وفيهم الفساق والفجار بل وفيهم الكفار؟! .

وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه «مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة» : (... ثم فسّر أهل البيت المرادين في الآية بأنهم أزواجه وذريته وأقاربه ، مع أن النبي ﷺ قد قصر ذلك على الأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين كما في حديث مسلم .

ولما أرادت أم سلمة الدخول معهم في الكساء قال : إنك إلى خير ولم يأذن لها ، وهذا إخراج واضح للزوجات وقد أخرجهن زيد بن أرقم أيضاً ، والنبي خير من فسّر القرآن والاستدلال بسياق القرآن ليس على إطلاقه) إلى

أن قال : (على أية حال يمكن أن يقال أن مفهوم أهل البيت فيها خصوص وعموم فأخص أهل البيت هم الأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين أما العموم فيدخل فيه بنو هاشم وزوجات النبي ﷺ وسائر بناته الأخريات وزيد بن حارثة وابنه أسامة ومولاتهم أم أيمن .
لكن آية التطهير يبدو أنها خاصة بالأربعة يدل عليه حديث الكساء ، فالنبي ﷺ - كما سبق - أفضل من فسّر المراد من الآية وقد حصرها في الأربعة)^(١) .

وقال أبو بكر النقاش في تفسيره : (أجمع أكثر أهل التفسير أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم)^(٢) .
وقال ابن الصباغ المالكي : (أهل البيت على ما ذكر المفسرون في تفسير آية المباهلة وعلى ما روي عن أم سلمة هم : النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين)^(٣) .

وقال الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب :
(بل الصحيح أن أهل البيت علي وفاطمة والحسنان ﷺ كما رواه مسلم

(١) مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة صفحة ٢٨٨ .

(٢) طهارة آل محمد صفحة ١٩ .

(٣) الفصول المهمة صفحة ٢٣ .

بإسناده عن عائشة أن رسول الله ﷺ خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وهذا دليل على أن أهل البيت هم الذين ناداهم الله بقوله أهل البيت وأدخلهم رسول الله ﷺ في المرط (١) .

وقال الشيخ سليمان القندوزي الحنفي : (أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم ويظهركم) (٢) .

تعهد الكاتب الخطأ بين مصطلح أهل البيت في آية التطهير ومعناه اللغوي العام

قال الكاتب : (معنى أهل البيت يتعدى نساء النبي صلوات الله عليه ، ويتعدى الإمام علي والسيدة فاطمة والإمامين الحسن والحسين إلى غيرهم كما في حديث زيد بن أرقم الذي سئل فيه : (نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس ، فمفهوم أهل البيت يتضمن أيضاً آل العباس

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب صفحة ٤٩ .

(٢) ينابيع المودة ٢ / ٤٢٩ .

وابن عبد المطلب وآل عقيل ابن أبي طالب وآل جعفر ابن أبي طالب بدليل حديث زيد بن الأرقم ، ويدخل في مسمى أهل البيت أيضاً الحارث بن عبد المطلب لقول الرسول ﷺ لربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب : «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد» .

قلت : أولاً : لا خلاف في أنّ مفهوم «أهل البيت» في بعض الأخبار له معنى عام يراد به بيت النسب فيدخل تحته جميع أقرباء النبي ﷺ إلاّ أنه في آية التطهير له معنى خاصاً يخص فقط أصحاب الكساء دون غيرهم من أقربائه ﷺ لوجود الدليل المخصص له في هؤلاء ، ونساء النبي ﷺ غير داخلات في هذا المفهوم لا بمعناه العام ولا بمعناه الخاص ، فبمعناه العام فإنهن لسن جميعاً من أقربائه ، وبمعناه الخاص فإنه ﷺ خصّه بأصحاب الكساء ، وقد ورد في صحيح مسلم خبرٌ صحيحٌ عن زيد بن أرقم ينفي فيه أن تكون نساء النبي ﷺ من أهل بيته ، ففيه : (فقلنا من أهل بيته نساؤه؟! قال : لا ، وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده)^(١) .

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٤ رواية رقم : ٢٤٠٨ .

ولقد حاول هذا الكاتب التدليس على القارىء بأن قول زيد بن أرقم :
(نساؤه من أهل بيته) إثبات أن النساء داخلات تحت مفهوم أهل البيت ،
والصحيح أن قول زيد بن أرقم هذا استنكار على من سأله بقوله : (نساؤه
من أهل بيته ؟) بدليل الاستدراك بلفظة «لكن» ولوجود الخبر الصحيح
الذي نقلناه قبل قليل والذي يصرح فيه بنفي أن تكون نساء النبي ﷺ من
أهل بيته .

ثم إن زيد بن أرقم يقول إن أهل بيته (هم الذين حرموا الصدقة بعده)
وهؤلاء الذين ذكرهم إنما الصدقة محرمة عليهم في حياة النبي ﷺ وبعد
وفاته ، وما أظن أن زيدا لا يعلم بذلك ، لكن ما يمكن قوله هنا هو أن هذه
الزيادة على لسان زيد يحتمل أنها من زيادة بعض رواة حديث الثقلين على
لسانه بهدف تعميم مفهوم أهل البيت فيه وبالتالي بطلان الاستدلال به على
إمامة الأئمة من أهل البيت وعصمتهم ﷺ .

والذي يدل على بطلان هذا القول المنسوب لزيد بن أرقم أن حديث
الثقلين فيه أمرٌ بلزوم التمسك بالكتاب وأهل بيت النبي ﷺ «العترة» ، وأن
في التمسك بهما عصمة من الضلالة ، وفي أقرباء النبي ﷺ الجاهل والعاصي
المرتكب للذنوب والأخطاء ، فهل كان أمر رسول ﷺ في حديث الثقلين
بالتمسك حتى هؤلاء؟! فهؤلاء لم يعصموا أنفسهم من الضلالة فكيف

يعصمون غيرهم منها ؟

إذاً لا بد أن النبي ﷺ يريد بقوله : «أهل بيتي» في حديث الثقلين جماعة خاصة من أهل بيته توفرت فيهم صفات ومؤهلات معينة من التقوى والورع والمعرفة التامة بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ كي يصح أن يكونوا عدل القرآن الكريم في عصمة المتسمك بهم من الضلالة .

ثانياً : إذا كان مفهوم أهل البيت في آية التطهير يشمل جميع هؤلاء الذين ذكرهم زيد بن أرقم ، فلماذا لم يجعل النبي ﷺ بكسائه العباس وآله وجعفر وآله وعقيل وآله وفلان وآله ؟ لماذا خص علياً ﷺ وآله بذلك ؟ إن هذا الفعل من النبي ﷺ يفيدنا أن مفهوم أهل البيت في آية التطهير خاص بهم فقط دون غيرهم من زوجاته وأقربائه .

محاولة الكاتب الفاشلة لرد استدلال الشيعة بآية التطهير على عصمة المخاطبين بها

قال الكاتب : (الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهي يعرفه كل أحد وهو أن حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كأحد الأطراف الذين نزلت فيهم الآية ، والإمامية يقولون بأن الله عز وجل أضفى على الأئمة صفة العصمة لاحتياج المهمة المناطة بهم لذلك وهي إمامة الناس وتحكيم شرع الله ، والسؤال : إذا كان

الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبيّة أو من الأئمة لكي تضاف عليها صفة العصمة؟! وما الغاية التي لأجلها أضيفت عليها العصمة؟ هل من مجبّه الله أو كل من له مقام عنده يعطى العصمة؟! إن الله عزّ وجلّ لما أضفى صفة العصمة على الأنبياء ﷺ لأنهم مبلغوا الوحي وأمن الرسالة السماوية ، ولو أننا قبلنا عصمة الأئمة دون أن نناقشها ، فإن ما لا يمكن تقبّله لا عقلاً ولا شرعاً أن يتصف بالعصمة من ليس بنبي ولا حتى إمام!! .

ليس كل معصوم يلزم أن يكون نبياً أو إماماً والعكس صحيح

قلت : نعم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية يؤمنون بوجود عصمة الإمام كالنبي ، ويملكون على ذلك العديد من الأدلة العقلية والنقلية ، كما ولديهم العديد من الأدلة على عصمة أئمتهم الطاهرين من أهل البيت ﷺ ، وآية التطهير أحد الأدلة التي يستدلون بها لإثبات عصمة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ والإمامين الطاهرين الحسن والحسين ﷺ^(١) ، والشيعة وإن كانت تقول بوجود عصمة النبي والإمام إلا أنهم لا يقولون بأن كل معصوم يلزم أن يكون نبياً أو إماماً ، بعبارة أخرى : كل نبي أو إمام يجب أن يكون معصوماً وليس كل معصوم يجب أن يكون نبياً أو إماماً ، فالعصمة

(١) سنذكر لاحقاً كيفية الاستدلال بآية التطهير على عصمتهم ﷺ .

شرط في النبي والإمام وبشوت نبوة شخص أو إمامته تثبت عصمته ، ولكن حتى لو تثبت عصمة شخص فلا تثبت نبوته أو إمامته إلاّ بأدلة أخرى كالنص أو ادعاء النبوة أو الإمامة ، فإذا وجد النص عليه أو ادعى النبوة أو الإمامة عندها يكون نبياً أو إماماً ، فالأمر في حال النص واضح وفي حال ادعاء النبوة أو الإمامة مع ثبوت العصمة مسبقاً أيضاً واضح لأنه في حال ثبوت عصمته يكون ادعاؤه صحيحاً فهو معصوم عن الذنب ومنه الكذب فهو لا يدعي ما ليس بحقه لمكان العصمة منه ، والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وإن كانت معصومة إلاّ أنّها لم تدع الإمامة ولم يرد دليل آخر يقول عنها بأنها إمام ، فعليه لا تكون إماماً ، كما لم يدع أحد من الشيعة إمامتها .

والله سبحانه وتعالى لما أن علم من حال هذه المرأة الجليلة الطاهرة - لعلمه بالغيب المطلق - أن أعمالها وسلوكياتها تمشي وفق إرادته وأنها لا تشذ عن طريقه القويم وصراطه المستقيم قيس أنملة صحّ أن يخبر بأنه لم يرد لها ولعلي والحسن والحسين عليهم السلام إلاّ إذهاب الرجس والتطهير من كل رجس ودنس ، وإن شئت قلت - إن صح التعبير - إن هذا إخبار من الله عز وجل لما علمه من حال هؤلاء قبل وبعد نزول هذه الآية أنهم لا يشذون عن نهج الله القويم في صغيرة وكبيرة ، فكان إخباره هذا لما علمه من حالهم هذا ، وما العصمة إلاّ مرتبة عالية من التقوى ومن العلم لا يقع معها

المعصوم في معصية أو خطأ ، وليس من المستحيل لا عقلاً ولا شرعاً أن يتصف من ليس بنبي أو إمام بالعصمة .

فهذا الله سبحانه وتعالى يخبرنا في القرآن الكريم عن طهارة السيدة مريم وعصمتها عَلَيْهَا حيث يقول : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .

تكراره المحاولة لتأكيد نزول آية التطهير في نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصرف ذلك عن أصحاب الكساء!

قال الكاتب : (لما كانت الآية نازلة في نساء النبي «أمهات المؤمنين» وفي إرادة تطهيرهن جمع النبي عليه الصلاة أصحاب الكساء وهم من خواص أهل البيت ليدعو لهم بأن ينالهم التطهير الذي نال أمهات المؤمنين قائلاً : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» طالباً من الله عزّ وجل أن ينالهم هذا الفضل وهو (كذا) بلاشك أهل له ، فحرصت أم سلمة بعد أن رأت رسول الله قد جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين أن تكون معهم وتنال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان ذلك قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة وأن يقرأ الآية موضعاً سبب طلبه لهم فقالت أم سلمة : (وأنا معهم يا رسول الله؟) قال : «إنك على خير» ، وفي

(١) آل عمران : ٤٢ .

رواية أخرى قال : «إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي» إذ لا حاجة لأم سلمة في أن يدعو لها رسول الله ﷺ بأن يذهب الله عنها الرجس طالما أن الآية نزلت فيها وفي باقي نساء النبي عليه الصلاة والسلام وهذا من أبرز الدلائل على كون الآية نازلة فيها لا في أصحاب الكساء الذي حرص النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء لهم ، ولو كانت الآية نازلة فيهم لما جمعهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال ما قال .

الرد على هذه المحاولة

قلت : أولاً : لقد أثبتنا فيما مضى من ردود بالأدلة القاطعة اختصاص الآية بأصحاب الكساء وأن الزوجات خارجات - من وجوه عديدة - من الاختصاص بها أو شمولها لهن ، وفي طلب أم سلمة الدخول معهم تحت الكساء بقولها : (وأنا معهم يا رسول الله) ليشملها دعاء النبي ﷺ وعدم سماحه لها وردّه عليها بقوله : «إنك إلى خير ، إنك من أزواج النبي» دليل على عدم شمول مفهوم أهل البيت في آية التطهير للزوجات فضلاً عن أن يكون خاصاً بهن أو تكون الآية نزلت فيهن ، بعبارة أخرى : إن جمع النبي ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ تحت كسائه ومخاطبتهم بالآية ودعاهم لهم بقوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» وعدم سماحه لأم سلمة بالدخول معهم تحت الكساء

عندما طلبت منه ذلك وردّه عليها بما ذكرنا هو من أبرز الدلائل على كون الآية نازلة في أصحاب الكساء وليس في زوجات النبي ﷺ بل وفي ذلك دلالة على عدم شمولها لهن أيضاً وهذا عكس ما استنتجه الكاتب تماماً .

ثانياً : لقد ذكرنا الهدف من جمع النبي لهم تحت الكساء فيما مضى ، وقلنا هناك من جملة ما قلناه : أن هدفه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هو تخصيص الآية بهم ﷺ بدليل جمعه لهؤلاء دون غيرهم من أقربائه أو زوجاته فزعمه أن النبي ﷺ إنما جمعهم ليدعو لهم لتشملهم إرادة الله في التطهير كما شملت زوجات النبي ﷺ إدعاء خال من الدليل وهو من باب الارجح بالغيب ، فمن أي دليل استفاد صاحبنا ذلك ؟!

من دعاويه الباطلة والرد عليها

وادّعى هذا الكاتب أن طلب أم سلمة من النبي ﷺ الدخول معهم تحت الكساء كان بعد جمعهم تحت الكساء وقبل دعاء النبي ﷺ لهم ، حيث قال :

(فحرصت أم سلمة بعد أن رأت رسول الله قد جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين أن تكون معهم وتنال بركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان ذلك قبل أن يدعو النبي عليه الصلاة وأن يقرأ الآية موضعاً سبب طلبه لهم) .

وهذا الإدعاء غير صحيح ، بل الثابت الصحيح من مضمون الروايات الصحيحة أن طلبها كان بعد أن دعا النبي ﷺ وخاطبهم بالآية ، وما عليك أخي القارئ المحترم إلا أن ترجع إلى روايات حديث الكساء والتي نقلنا جملة منها في أول هذا الكتيب لتتأكد من صحة ما نقول وبطلان قول هذا الكاتب .

وادعى أن آية التطهير نزلت في بيت عائشة فقال :

(يذكر أنّ الآية لم تنزل في بيت أم سلمة بل نزلت في بيت عائشة » انظر إلى الرواية المروية عن عائشة في مسلم وهي التي يستدل بها الشيعة» ثم بعد نزولها وفي فترة لاحقة جاء الرسول إلى بيت أم سلمة ثم دعا علي (كذا) وفاطمة والحسن والحسين وغطاهم بالكساء ودعا لهم) .

وهذا من تدليساته وتليساته فإن الروايات صريحة في أنها نزلت في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضوان الله تعالى عليها ، وهذا واضح من الروايات التي نقلناها في أول هذا الكتيب ، ففي بعضها تقول أم سلمة رضي الله عنها : (في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ...) ، وفي رواية عمر بن أبي سلمة يقول : (نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بيت أم سلمة ...) ، ورواية عائشة التي رواها مسلم وغيره

والتي ذكرها هذا الكاتب في أول منشوره لا يظهر منها أن الآية نزلت في بيتها فغاية ما يبدو منها أنه ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين تحت كسائه وقرأ الآية عليهم ، أما أين نزلت هذه الآية فلم تشر إليها رواية عائشة لا من قريب ولا من بعيد .

والشيعة وغيرهم ممن يقولون باختصاص آية التطهير بأصحاب الكساء لا يستدلون فقط برواية عائشة - كما يحاول هذا الكاتب أن يوهم القارىء - بل بروايات أخرى كثيرة مروية من غير طريق عائشة ، وفيما سقناه من روايات صحيحة فيما مضى عن غير عائشة واستدلنا بهذه الروايات هو خير شاهد على صحة وصدق ما نقول .

خلط الكاتب بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية

قال الكاتب : (قوله تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ليس فيه إخبار بذهاب الرجس بل فيه أمر لمن نزلت فيهم الآية بالتزام طاعته لكي يحصل لمن التطهير ، لأن الله عز وجل يريد تطهيرهن وسياق الكلام الموجه لنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يتضمن توجيهاً إلهياً إليهن بفعل أمور واجتناب أخرى ، وبين الله عز وجل أنه يريد منهن التزامهن هذه التوجيهات ليذهب عنهم الرجس بمقتضى أمره لهم ، وبامتنابهم لأمر الله

وحفظه يحصل التطهير ، وهذا النمط من الخطاب استخدم الله عز وجل في آخرين كما في قوله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا لا أنها حصلت فعلاً ، ولو كان الأمر كذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته وأبسط مثال يوضح ذلك هو أن الله عز وجل يريد على سبيل المثال للبشر كلهم أن يدخلوا الجنة ، وهذه الإرادة هي إرادة محبة وهناك إرادة له سبحانه كونية قدرية في هذا الشأن وهي أنه سيكون من البشر مؤمن وكافر وأن ما كل البشر سيدخل الجنة لأن الله سبحانه وتعالى العادل أعطى البشر الحرية في عمل الخير والشر لكي يحصل العدل بمجازاته ، ولو كان الإنسان مجبوراً على الخير فقط لما كان من العدل مجازاته أصلاً لأنه لو أراد الشر ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، فإرادة الله ادخال البشر كلهم إرادة محبة ولكنه ما من الواجب تحققها لأن الله نفسه لم يوجب حدوثها) .

وقال الكاتب : (إن مضمون حديث الكساء أن النبي ﷺ دعا لهم بأن يذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم ، واجتناب الرجس واجب على المؤمنين ، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين

وليس أهل البيت فقط وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير يقول تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ويقول : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ فكما أخبر الله عزّ وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين كذلك ، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للمؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عزّ وجل تطهيرهم) .

دلالة آية التطهير على عصمة المخاطبين بها

قلت : إن آية التطهير فيها دلالة جلية على عصمة المخاطبين بها وهم أصحاب الكساء عليهم السلام ، فالله عزّ وجل من خلالها يخبر ويكشف عن هذه العصمة والطهارة ، ولتوضيح ذلك نقول : إن إرادة الله عزّ وجل تنقسم إلى نوعين من الإرادة ، الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية ، والمراد بالإرادة التكوينية هي إرادته صدور الفعل عن نفسه من دون تحلل إرادته غيره في صدوره كما في إرادته خلق العالم وإيجاد الأرض والسماء ، أما إرادته التشريعية فهي إرادته صدور الفعل عن غيره بإرادة هذا الغير واختياره كإرادته من عباده فعل العبادات من صلاة وصوم وحج وغيرها بإرادتهم واختيارهم لا مجرد حصولها بدون تحلل إرادته منهم ، والإرادة في آية التطهير

من القسم الأول «الإرادة التكوينية»، فأية التطهير مصدرية بأداة الحصر «إنما» وهي من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية وتفيد إثبات ما بعدها ونفي ما عداه، يقول ابن منظور في لسان العرب: (ومعنى «إنما» إثبات لما يذكر بعدها ونفي ما سواه كقوله: إنما يدافع عن أحسابهم أنا ومثلي، المعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا ومثلي) ^(١).

وعلى ضوء ذلك فالآية تثبت إذهاب الرجس والتطهير لأهل البيت عليهم السلام وتكشف عن تحقق عصمتهم، ولو قلنا بأنها - أي الإرادة - من القسم الثاني «التشريعية» فيكون معنى الآية إنما شرعنا لكم - أهل البيت - الأحكام لنذهب عنكم الرجس ونطهركم وهذا التفسير للإرادة يتنافى مع الحصر المستفاد من لفظة «إنما»، فمن الواضح أن الغاية من تشريع الأحكام إذهاب الرجس عن جميع المكلفين لا عن خصوص أهل البيت ولا خصوصية لهم في تشريع الأحكام وليست لهم أحكام مستقلة عن أحكام بقية المكلفين لأنها إنشاءً وطلباً للتطهير وإذهاب الرجس من المخاطبين بها، وكما أن هذا المراد مطلوب من أهل البيت فهو مطلوب ومراد من غيرهم من بقية المكلفين فيكون الحصر هنا لغواً وحاشا لله أن يكون في كلامه ما هو لغو فهذا خير شاهد على أن الآية ليست بصدد الإنشاء والطلب كما يدعي هذا

(١) لسان العرب ٣١/١٣.

الكاتب بل هي إخبار عن أمر خارجي متحقق ، وهذا لا ينسجم إلا مع الإرادة التكوينية ، فالله سبحانه وتعالى أراد لأهل البيت عليهم السلام بإرادته التكوينية أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا ، وإرادة الله لا يتخلف فيها المراد عن الإرادة ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(١) ، وما هذه الإرادة من الله لهم بإذهاب الرجس والتطهير إلا لمكان عصمتهم ووظيفتهم ودورهم القيادي وتوليهم لمهام الإمامة .

أما بالنسبة للسيدة الزهراء عليها السلام وإن لم يكن لها هذه الوظيفة - أعني الإمامة - إلا أنه لمكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام ولعلم الله من حالها أنها لم ولن تسلك إلا نهجه ولن تشد عن طريقه القويم ، ولسلوكتها في إذهاب الرجس عن نفسها وتطهيرها صح أيضاً أن يخبر سبحانه أنه لم يرد لها إلا إذهاب الرجس والتطهير حالها كحال البقية من أهل البيت عليهم السلام .

أما الشبهة التي قد تطرح في المقام بخصوص القول بأن الإرادة هنا - أي في آية التطهير - تكوينية وهي أنه يلزم من ذلك الجبر فنقول في ردّها :
إن هذه الشبهة لا تخص أهل البيت عليهم السلام وإنما تعمّ الأنبياء عليهم السلام فما يرد

(١) يس : ٨٢ .

على عصمتهم من اعتراض من هذا النوع يرد أيضاً على عصمة الأنبياء ﷺ حتى على القول بأنها في بعض النواحي لا في كلها^(١) ، فالعصمة بشكل عام سواء في الأنبياء أو الأئمة من أهل البيت ﷺ لا تعني إلا استحالة حدوث الذنب والخطأ من المعصوم ، وهي إنما تأتي نتيجة لتربية خاصة وتصعيد لقوة الإرادة وضبط النفس وتأيد من الله تعالى وإمداد منه سبحانه لعبده بدرجة يستحيل معها صدور الذنب والخطأ من العبد ، وليس معناها إنعدام الإرادة والاختيار في سلوك العبد ، بل معناها كما ذكرنا تصعيد الإرادة وتكاملها بدرجة يستحيل معها صدور الذنب والمخالفة لله وإتباع الهوى منه ، ولا شك أن تأييد الله تعالى وإمداده لعبده هو من أهم هذه الأسباب المقومة لإرادة العبد التي هي بدورها تضبط سلوك الإنسان عن الانحراف .. فكلما جاهد العبد نفسه بشكل أكبر وأوسع كلما أتاه الله عز وجل درجة أكبر من التأييد ومزيماً من الإمداد والعون ، يقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) فالعصمة واستحالة صدور الذنب والخطأ والخلاف من العبد لا يعني انعدام الإرادة والاختيار وإنما هو

(١) أما الشيعة الإمامية الإثنا عشرية فيذهبون إلى العصمة المطلقة للأنبياء وفي جميع

النواحي .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

ارتفاع الإرادة إلى درجة لا تغلبها قوى النفس التي تميل إلى الخلاف والانحراف .

وبهذا المعنى علينا أن نفهم الإرادة التكوينية في آية التطهير فهي إمداد الله تعالى وفضه وتأيدته لعباده الصالحين من أهل البيت عليهم السلام في تطهير نفوسهم وإذهاب الرجس عنهم وتصعيد إرادتهم على نحو تكويني وبقدرة قديرة من الله تعالى تستحيل معها المعصية والذنب عليهم بمحض إرادتهم واختيارهم وهذا التأيد الإلهي لا يؤدي إلى سلب الاختيار والإرادة عنهم وإنما هو في حقيقته تصعيد لدرجة إرادتهم وقوتها ، وإمداد لها بالقوة والضبط حتى يستحيل عليهم فعل معصية أو ذنب ^(١) .

أما بالنسبة للإرادة في قوله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ والذي هو جزء من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا

(١) اقتبسنا بعض ما أورده في رد شبهة الجبر من كلام للشيخ محمد مهدي الآصفي أطال الله في عمره في كتابه آية التطهير .

يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ إرادة تشريعية ، والمعنى أن الهدف من جعل هذه الأحكام هو تطهير الناس ، فالإرادة التشريعية هنا وضع أحكام الطهارة من غسل ووضوء وتيمم ، والهدف هو طهارة الناس من الحدث والخبث ، وبديبي أن البعض سيمثل لهذه الأحكام ويعمل بها بينما البعض سيعرض عنها أما لو كانت إرادة تكوينية على نحو التكوين لما أمكن لأحد أن يتخلف عن تطهير نفسه .

وبخصوص استشهاد الكاتب بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ فما هو إلا من باب خلط الحابل بالنابل وعجزه عن إثبات ما يريد فيأتي بها لا علاقة له بالموضوع ويلحقه به للإيهام والمغالطة والتدليس ليس إلا ، وإلا فليس في ذلك دلالة على ما يريد ، فاستشهاده بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ استشهاد في غير محله ، فليس في قوله تعالى هذا دلالة على مطلق التطهير وأنه من كل شيء وليس دفع الصدقة هو التكليف الوحيد لتطهير المرء نفسه من كل الأرجاس ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ غاية ما فيه هو

(١) المائة : ٦ .

إخبار منه سبحانه وتعالى عن أن التائب من ذنوبه والمطهر نفسه من الأرجاس والأدناس محبوب لديه سبحانه ، فأين هذا من ما تثبتته آية التطهير من حصول وتحقق التطهير وإذهاب الرجس عن أهل البيت الذين هم أصحاب الكساء عليهم السلام .

المزيد من مغالطات الكاتب لدفع دلالة آية التطهير على عصمة أصحاب الكساء

قال الكاتب : (التطهير الوارد في الآية لا يعني العصمة بل التنزه عن الفواحش ، وهو استخدام شائع في القرآن الكريم كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وما من أحد يقول بأنها قصدت بالتطهير هنا العصمة بل التنزه من الفواحش وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ وغيرها من الآيات ، وبالجملة لفظ «الرجس» أصله «القذر» يطلق ويراد به الشرك كما قال تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ولم يثبت استخدام القرآن لفظ «الرجس» بمعنى مطلق الذنب

بحيث يكون في إذهاب الرّجس عن أحد إثبات للعصمة .

قلت : بل التطهير الوارد في الآية يعني العصمة ، ويستفاد ذلك من الحصر الموجود في الآية ، والعجيب من هذا الكاتب أنه حشر في كلامه بعض الآيات التي وردت فيها مشتقات لفظة «الطهارة» وزعم أنّها لا تدل على العصمة وإنما تدل على التنزه من الفواحش ، ليرد استدلال الشيعة بأية التطهير على عصمة المخاطبين بها ، وهذا من تدليس ومغالطته ، فالشيعة لا يستدلون بخصوص لفظة ﴿وَيُطَهَّرْكُمْ﴾ بل بمجموع الآية الكريمة وقد بينا فيما سبق كيفية الاستدال بالآية على العصمة فراجع^(١) .

معنى الرّجس

الرّجس هو كل قذارة معنوية ومادية ، يقول الشيخ محي الدين بن العربي في الباب ٢٩ من فتوحاته: (... فإن الرّجس هو القذر عند العرب) . وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني : (والرّجس في الأصل الشيء القذر ... وقيل يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص والمراد هنا^(٢) ما يعم ذلك)^(٣) .

(١) انظر صفحة ٥٨ وما بعدها .

(٢) في آية التطهير .

(٣) روح المعاني ١٢/٢٢ .

وقال الفيروزآبادي : (الرجس - بكسر - القذر ، ويجرّك ويفتح بالراء وتكسر الجيم ، والمأثم وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدي إلى العذاب والشك والعقاب والغضب)^(١) .

وقال عبد الله بن عباس : (عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا)^(٢) .

وقال ابن عطية الأندلسي : (والرجس اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت)^(٣) .
وقال مجاهد : (الرجس : ما لا خير فيه)^(٤) .

ولفظه «الرجس» في الآية محلاة بـ (أل الجنسية) فهي تشمل جميع أفراد الجنس ، وعليه فالله سبحانه وتعالى أذهب عن أهل البيت عليهم السلام جميع أفراد الرجس ، فهم منزهون عن المعاصي والأخطاء والسهو والنسيان^(٥) ،

(١) القاموس المحيط ٢/٣١٨-٣١٩ .

(٢) تفسير البغوي ٣/٥٢٨ .

(٣) المحرر الوجيز ٤/٣٨٤ .

(٤) الدر المنثور ٣/٣٥٦ .

(٥) الخطأ والسهو والنسيان تدخل ضمن عمل الشيطان ، فهي من أفراد الرجس ، وكذلك تدخل تحت مفهوم الأمور التي لا خير فيها فتكون أيضاً من أفراد الرجس ، وأهل البيت مطهرون من كل ذلك .

ومطهرون منه بتطهير الله عزّ وجل لهم عن ذلك .

من محاولات الكاتب المتكررة لإثبات اختصاص الآية بزوجات النبي ودفعتها عن أصحاب الكساء !

قال الكاتب : (مما يؤكد أنّ الآية لا تنص على وقوع التطهير بل على إرادة التطهير ، وأن رسول الله حرص على أن يلحق أصحاب الكساء ما لحق زوجاته أمهات المؤمنين اللاتي نزلت فيهن الآية وفي إرادة تطهيرهن ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أنّه كان إذا خرج إلى الصلاة يمر بباب علي وفاطمة ويقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ مذكراً إياهم بالآية وحاضاً عليّاً على الخروج لصلاة الجماعة إذ بالمحافظة على الفرائض وبطاعة الله يحصل التطهير).

فلسفة مرور النبي ﷺ كل صباح على باب بيت علي وفاطمة عليهما السلام

قلت : نزول آية التطهير في نساء النبي ﷺ مما لم يرقم عليه دليل ، والدليل قائم على أنها نزلت في أصحاب الكساء ﷺ خاصة كما مر بيانه ، كما وأثبتنا أن آية التطهير إخبار عن تحقق إذهاب الرجس والتطهير لأهل البيت المخاطبين في الآية لا أنها بصدد الإنشاء والطلب ، أما دعوى هذا الكاتب أن النبي ﷺ إنما أراد بمروره كل صباح على باب بيت علي

وفاطمة عليهما السلام ستة أو تسعة أشهر - حسب اختلاف الروايات - مخاطباً لهم
بآية التطهير أن تشملهم إرادة التطهير ويلحقهم الخطاب الموجه في الآية
لزوجات النبي عليه السلام فهي دعوى بلا دليل ، وهو نوع من التدليس والمغالطة
والتخريف والتهكم في القول والرجم بالغيب فلم يؤثر عن النبي عليه السلام لا
بسند صحيح ولا ضعيف ما يؤيد هذه الدعوى وهو استنتاج خاطيء مائة
بالمائة ، والاستنتاج الصحيح من فعل النبي عليه السلام هذا أنه مهدف تخصيص
الآية بهم وتطبيق مفهوم أهل فيها عليهم .

ثم إذا كانت الإرادة في الآية تشريعية حسب ما يدعي هذا الكاتب فلا
معنى لأن يحاول النبي أن يجعل من علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام
مشمولين بالأوامر والنواهي لأن الخطاب الإلهي بها بالأساس متوجه إليهم
وإلى غيرهم والله سبحانه وتعالى أراد من الجميع بإرادته التشريعية أن
يطهروا أنفسهم من الأرجاس والأدناس .

خلط الكاتب مرة أخرى بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية

قال الكاتب : (على فرض أنّ الآية نزلت في أصحاب الكساء لا في
نساء النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن التطهير الذي جاءت به الآية واقع
لغيرهم أيضاً بنص القرآن كما قال تعالى عن المؤمنين : ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ

لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴿ وغيرها من الآيات ، ولو كان معنى إرادة التطهير معنى العصمة لوجب القول بعصمة جميع المؤمنين لنص الآية على إرادة الله تطهيرهم ، وهذا ما لا يقوله لا السنة ولا الشيعة ، فكيف تطبق نظرية التطهير على أناس دون آخرين؟! أليس في المسألة نوع من المزاجية وليس المنهجية) .

وقال : (والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عزّ وجل لتطهير الصحابة بل هم بالمقابل يقدحون فيهم ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عزّ وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية ، مفارقات عجيبة يحار فيها العقل ولا تجد لها إلا إجابة واحدة ، إنه التعصب وما يفعله في أصحابه) .

قلت : أولاً: إن هذا الكاتب يخلط مرة أخرى بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية إما لقلّة فهمه وعلمه ، أو بهدف التزوير والتدليس على الجهلة والسذج والبسطاء من الناس ، فالإرادة في آية التطهير تكوينية والإرادة في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ تشريعية ، ثم نقول لهذا الكاتب ؛ إن الشيعة ليسوا بأتباع المزاجية في هذه

المسائل وغيرها ، بل هم أتباع الدليل ، فالدليل هو الذي قادهم إلى القول بنزول آية التطهير في أصحاب الكساء عليهم السلام ، والدليل هو الذي دفعهم للقول بدلالة هذه الآية على عصمة المخاطبين بها ، والذي يتبع المزاجية ويعتمدها في مثل هذه المسائل ويعتد عن المنهجية العلمية هو الذي يضرب بالأحاديث المتواترة والصحيحة والصریحة على تخصيص الآية في أصحاب الكساء عليهم السلام عرض الجدار ويعتمد على أدلة واهية ليجعل الآية خاصة بزوجات النبي صلى الله عليه وآله ، نعم هذا هو صاحب المزاجية وليس من يتبع الدليل ويعتمد على البراهين والحجج ، فالذي طبق آية التطهير على أصحاب الكساء وخصصها بهم فقط هو رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو واضح من الأدلة التي أوردناها سابقاً ، وما قول علماء الشيعة باختصاصها بهم دون غيرهم إلا عن دليل وبرهان وحجة واتباع لقوله صلى الله عليه وآله وفعله .

ثانياً : أما الآيات التي زعم هذا الكاتب أنها نزلت في إرادة تطهير الصحابة ، فالإرادة فيها إرادة تشريعية والتطهير المطلوب من الصحابة في هذه الآيات مطلوب من غيرهم وذلك من خلال التزامهم بالتكاليف والأوامر الإلهية والتنزه عن الأرجاس والأدناس ، أما الإرادة في آية التطهير - فكما بينا سابقاً - إرادة تكوينية ، والتطهير المشار إليه فيها متحقق في المخاطبين بها .

ثالثاً : إدّعاؤه بأن الشيعة يقدحون في الصحابة ويقولون بانقلابهم على أعقابهم ادّعاء كثيراً ما يردده أمثال هؤلاء الحاقدين على الشيعة ، فالشيعة وإن كانوا لا يرون عدالة جميع الصحابة واستقامة جميعهم إلاّ أنّهم لا يقولون بارتدادهم وانقلابهم جميعاً .

ولعرفة رأي الشيعة في الصحابة أنقل هنا رأياً لأحد علماء الشيعة الأجلاء وهو السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، فقد قال في كتابه أجوبة مسائل جار الله : (إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنّ أوسط الآراء إذ لم نفرط فيهم تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعاً ، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم أجمعين فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة ، وقال أهل السنة بعدالة كل فرد سمع النبي ﷺ أو رآه من المسلمين مطلقاً ، واحتجوا بحديث كل من دبّ أو درج منهم أجمعين أكتعين أبصعين أما نحن فإن الصحبة بمجردنا وإن كانت عندنا فضيلة جلييلة لكنها - بها هي ومن حيث هي - غير عاصمة ، فالصحابه كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماءهم وعلماؤهم وأولياء هؤلاء وفيهم البغاة وفيهم أهل الجرائم من المنافقين وفيهم مجهول الحال ، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة ، أما البغاة على الوصي وأخي النبي وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند

وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرمطة وأمثالهم فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم ، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره (١) .

هذا هو رأي الشيعة في الصحابة ، فليس لديهم دليل لا من كتاب الله ولا من سنة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ يدل على عدالة جميع الصحابة ، وما استند إليه القائلون بعدالتهم من أدلة كلها فيها نظر ومناقشة وقاصرة عن إثبات ذلك .

تصريح روايات أهل السنة بارتداد جماعة من الصحابة !

والروايات في كتب أهل السنة متواترة وصریحة في إثبات إرتداد جماعة من الصحابة وانقلابهم على أعقابهم وارتكابهم من الموبقات والعظائم ، ومن جملة هذه الروايات ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي وائل قال : (قال : عبد الله ، قال النبي ﷺ : «أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إليّ رجال منكم ، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي ! يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك») (٢)

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال : (سمعت سهل

(١) أجوبة مسائل جار الله صفحة ١٤ - ١٥ .

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٢٥٨٧ رواية رقم : ٦٦٤٢ .

ابن سعد يقول ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أنا فرطكم على الحوض ، من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليرد عليّ أفوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم» ، قال أبو حازم فسمعني النعمان ابن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلاً ؟ فقلت : نعم ، فقال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه ، قال : «إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي»^(١) .

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة الدوسي انه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : («يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون على الحوض ، فأقول يا رب أصحابي ! فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»)^(٢) .

وأخرج البخاري في صحيحه ومسلم بن الحجاج في صحيحه وابن حبان في صحيحه بأسانيدهم جميعاً عن ابن عباس - واللفظ لمسلم - أنه قال : (قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال : «يا أيها الناس ! إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٥٨٧ رواية رقم : ٦٦٤٣ .

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٤٠٧ رواية رقم : ٦٢١٣ .

كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿^(١)﴾ ، ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام !
ألا وإِنَّه سيُجاءُ برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب
أصحابي ! فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد
الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ تَعْدَهُمْ فَأِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٢) ، قال : فيقال لي إنهم لم يزالوا
مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » ^(٣) .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة الدوسي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه
قال : (بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم
فقال هلم ، فقلت : أين ؟! قال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم ؟ قال :
إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم
خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ، قلت : أين ؟ قال : إلى النار والله ،

(١) الأنبياء : ١٠٤ .

(٢) المائدة : ١١٧ - ١١٨ .

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٤ رواية رقم : ٢٨٦٠ ، صحيح البخاري ٤/ ١٦١٩ رواية
رقم : ٤٣٤٩ و ٥/ ٢٣٩١ رواية رقم : ٦١٦١ ، صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٤٣ رواية
رقم : ٧٣٤٧ .

قلت : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا على أذبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (١) .

يقول ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري : (والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره) (٢) .
وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه :
(أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول : يا ربي أصحابي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) (٣) .

وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : (مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذهب عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي) (٤) .

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة الدوسي قال : (قال رسول الله ﷺ : مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل

(١) صحيح البخاري ٥/٢٤٠٧ رواية رقم : ٦٢١٥ .

(٢) فتح الباري ١١/٤٧٥ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٨٤ رواية رقم : ٣٦٣٩ و ١/٤٢٥ رواية رقم : ٤٠٣٥ .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٧٩٠ رواية رقم : ٢٢٨٥ .

جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، قال فذلکم مثلي ومثلکم أنا آخذ بحجزکم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيها (١) .

وفي مسند الشهاب بسنده عن ابن عباس قال : (قال رسول الله ﷺ : إني ممسك بحجزكم عن النار وتقاحون فيها تقاحم الفراش والجنادب) (٢) .
وغير هذه الروايات كثير في الصحاح والمسانيد وكتب السنن عند أهل السنة (٣) .

وهذه الروايات صحيحة وصریحة في تغيير بعض الصحابة وتبديلهم بعد رسول الله ﷺ وإحداثهم ما يجعلهم يردون بسببه النار والعياذ بالله .. فكيف يقال بعد هذا بأن جميع الصحابة عدول ؟ وكيف يجب على المسلم أن يتولى كل من أسلم وشاهد النبي ﷺ وصاحبه !؟
إن القول بعدالة جميع الصحابة إنما هو من اختراع السياسة الأموية

(١) صحيح مسلم ٤/١٧٨٩ رواية رقم : ٢٢٨٤ .

(٢) مسند الشهاب ٢/١٧٤ رواية رقم : ١١٢٨ .

(٣) لقد ذكرت المزيد من هذه الروايات في كتابي «الحصون المنيعة» رد على كتاب حوار هادىء بين السنة والشيعه لعبد الله ابن سعيد الجنيد ، فراجع صفحة ٢١٢ وما بعدها من طبعة الكتاب الأولى ، طبعة بيروت دار الكاتب العربي .

لتبرير أفعال معاوية وأضرابه ممن ناصروه وعاضدوه وشايعوه من الصحابة ضد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وغيرهم ممن أحدثوا في الدين ما أحدثوا وفعلوا من الكبائر والجرائم ما فعلوا .. وإلاّ فهذا - كما أسلفنا - لا يؤيده دليل لا من كتاب الله ولا من سنة نبيه ، ولا سيرة بعض الصحابة تؤيده وتؤكدّه .

زعمه عدم دلالة آية التطهير على الإمامة !

قال الكاتب : (إذهاب الرجس والتطهير لا يدل على معنى الإمامة ، ونحن بصدد البحث عن دليل الإمامة ، فإن قيل بأن من مستلزمات الإمامة العصمة ، وأن من كان معصوماً وجبت إمامته ، قيل : وماذا تقول في السيدة فاطمة الزهراء التي هي أحد أصحاب الكساء أتستطيع تطبيق نفس المبدأ عليها وبالتالي القول بأنها أحد الأئمة؟! فإن قال : لا ، قيل : قال الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ﴿ فإما أن تطبق ما تدّعيه مائة بالمائة أو تقر بطلانه لكن التشبث بالدليل بما يوافق الهوى وطرح ما يخالفه ما هو في الحقيقة إلاّ تلاعب بالقرآن الكريم ، وما أرى من يسلك هذا الطريق يطلب الحق ويدّعي ما يدّعيه ويجره التعصب إلى الإصرار على الخطأ في فهم كتاب الله).



كيفية الاستدلال بآية التطهير على الإمامة

قلت : إن إذهاب الرّجس والتطهير يدل على العصمة ، والعصمة شرط من شروط الإمامة ، بمعنى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً ، ولكن ليس كل معصوم يجب أن يكون إماماً ، فما زعمه هذا الكاتب بقوله : (وأن من كان معصوماً وجبت إمامته) ليس على إطلاقه ، فبعد ثبوت عصمة الشخص بالدليل ينظر هل ادّعى الإمامة أم لا ؟ وهل ادّعاها له معصوم آخر أم لا ؟ فإن كان ذلك ثبتت إمامته لمكان العصمة التي تمنع من الكذب ، فلا يكون كاذباً في دعواه الإمامة ، وعليه فآية التطهير تدل بالدلالة الإلتزامية على إمامة الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام وذلك لأنها تثبت عصمتهم وقد ادّعوا الإمامة ولا يكونون إلا صادقين في دعواهم هذه ، أما بالنسبة للسيدة الزهراء فاطمة عليها السلام فهي وإن كانت معصومة بموجب آية التطهير إلا أنها لم تدّعي الإمامة ولم يدّعيها لها معصوم آخر فلا تكون إماماً ، إضافة إلى ذلك فإن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه ، والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم يرد في حقها نص يقول بإمامتها ، وفي الختام نقول لهذا الكاتب وأمثاله إن الشيعة لا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فهذا فعل غيرهم ، لكن عدم فهم هذا الكاتب لكيفية استدلال الشيعة بآية التطهير على الإمامة أوقعه فيما قال .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله
الطيبين الطاهرين .

المحتويات

| | |
|----|--|
| ٥ | المقدمة |
| ٦ | زعمه أن آية التطهير نزلت في نساء النبي |
| ٧ | الأدلة على نزول الآية في أصحاب الكساء وبطلان نزولها في نساء النبي |
| ٢٦ | بطلان استدلاله بالسياق |
| ٢٩ | محاولته الهروب من إشكال تذكير الضائر في الآية |
| ٣٢ | من استدلاله الواهي على عدم علاقة أصحاب الكساء بالآية |
| ٣٣ | التأكيد على اختصاص الآية بأصحاب الكساء |
| ٣٧ | الهدف من جمعهم تحت الكساء والدعاء لهم |
| ٣٨ | من تصريحات وأقوال علماء أهل السنة في اختصاص الآية بأصحاب الكساء |
| ٤٦ | تعمد الكاتب الخلط بين مصطلح أهل البيت في آية التطهير ومعناه اللغوي العام |
| ٤٩ | محاولة الكاتب الفاشلة لرد استدلال الشيعة بآية التطهير على عصمة المخاطبين بها |
| ٥٠ | ليس كل معصوم يلزم أن يكون نبياً أو إماماً والعكس صحيح |
| | تكراره المحاولة لتأكيد نزول آية التطهير في نساء النبي ﷺ وصراف ذلك عن |
| ٥٢ | أصحاب الكساء |
| ٥٣ | الرد على هذه المحاولة |
| ٥٤ | من دعاويه الباطلة والرد عليها |
| ٥٦ | خلط الكاتب بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية |
| ٥٨ | دلالة آية التطهير على عصمة المخاطبين بها |

| | |
|----|---|
| ٦٤ | المزيد من مغالطات الكاتب لدفع دلالة آية التطهير على عصمة أصحاب الكساء . |
| ٦٥ | معنى الرجس |
| | من محاولات الكاتب المتكررة لإثبات اختصاص الآية بزوجات النبي ودفعتها عن |
| ٦٧ | أصحاب الكساء |
| ٦٧ | فلسفة مرور النبي كل صباح على باب بيت علي وفاطمة |
| ٦٨ | خلط الكاتب مرة أخرى بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية |
| ٧٢ | تصريح روايات أهل السنة بارتداد جماعة من الصحابة |
| ٧٧ | زعمه عدم دلالة آية التطهير على الإمامة! |
| ٧٨ | كيفية الاستدلال بآية التطهير على الإمامة |
| ٨٠ | المحتويات |